القيم المضافة إلى الحذف في التركيب الشرطي: دراسة تطبيقية لنماذج من آي القرآن الكريم.

Additional Values of deletion in Conditional phrase: An applied study of Models of the Holy Quran.

د. الأخضر سعداني.

قسم اللغة والأدب العربي جامعة الشهيد حمه لخضر-الوادي –الجزائر-
sadani-lakhdar@univ-eloued.dz

تاريخ الإيداع: 2019/10/24 تاريخ القبول: 2020/04/30

الملخّص:

كثيرة هي الإجراءات الأسلوبية التي يدخلها المتكلم على الجملة، فيقتطع بعض عناصرها، أو يزيد عليها، أو يستبدلها، أو يغيّر في مظانها. وهو بذلك يروم تقريب القصد وبلاغة الكلام وفخامة التعبير وغزارة الدلالة . وبهذه الإجراءات ترتقي اللغة من مجرد التواصل البسيط، إلى اللغة الشعرية العامرة بالدلالات والجماليات.

وتنطبق هذه الإجراءات على التعبير بامتياز. ومن ذلك ما نراه في استعمالات التركيب الشرطي[1]، بحيث تجري فيه أنواع من الاقتطاع تفوق ما يقع في الجملة الاسمية والفعلية. ويكاد في بعض الأحيان ينغلق علينا معناه لولا نباهة علماء التفسير والبلاغة ونفاذ بصيرتهم ورقي ذوقهم. إنهم يحللون التراكيب الشرطية ويلحظون محذوفاتها من النظر في السياق الكلامي والمقامي القريب والبعيد، ويتوصلون بفهمهم إلى إقناعنا بالانسجام الكامل للنص القرآني، إضافة إلى بلورة ما فيه من بلاغة عالية ومستوى حجاجي معجز.

الكلمات المفتاحية: التركيب الشرطي؛ الحذف؛ الشرط؛ جواب الشرط؛ الجزاء ؛ المعنى.

Abstract:

Many are the stylistic procedures entered by the speaker on the sentence, cutting some elements, or increase them, or replace them, or change their positions. It thus aims at the eloquence of speech and the luxury of expression and the abundance of significance. With these procedures, the language moves from simple communication to poetic language full of connotations and aesthetics.

These procedures apply to the Koranic expression with excellence. And what we see in the uses of the conditional structure, so that the types of deletion are more than what is in the nominal and verbal sentence. And it is sometimes closed to us its meaning without the welfare of the scientists of interpretation and rhetoric, and the penetration of their insight and taste. They analyze the conditional structures and observe their deletions from looking at the near and distant context of speech and shrines, and by their understanding they convince us of the complete harmony of the Quranic text. In addition to the elaboration of its eloquence and high level of persuasive miracle.

Keywords: conditional phrase; omission; condition; answer; reward; meaning.

الحذف في اللغة: القطع والإسقاط. جاء في الصحاح: "حَذْفُ الشيءِ: إسقاطُه. يقال: حَذَفْتُ من شَعْري ومن ذَنَبِ الدابَة، أي أخذت... وحَذَفْتُ رأسَه بالسيف، إذا ضربته فقطعتَ منه قطعةً".[2]

وفي لسان العرب: "حذَفَ الشيءَ يَحْذِفُه حَذْفاً قَطَعَه من طَرَفه. والحَجَّامُ يَحْذِفُ الشعْر من ذلك..."[3]

والحذف في اللسانيات، أحد عمليات التحويل، نقيض الزيادة. وهو اقتطاع يعتري الجملة التوليدية لغرض في المعنى، مع محافظة الجملة على فائدتها ونوعها من حيث الفعلية أو الاسمية أو الشرطية. وجميع صور الحذف تحقق الإيجاز، الذي هو وجه من وجوه الاقتصاد اللغوي، وأحد الجوانب البارزة في بلاغة الكلام، حتى انّ الجاحظ عرّف البلاغة فقال:"البلاغة الإيجاز."[4]

وليس الحذف إجراء اعتباطيا. ولو كان كذلك لأدّى بعضه إلى اللبس، وتعطيل دورة التواصل الناجع بين طرفي الخطاب. ولكنه محكوم بأصل كثير التداول في الدراسات اللغوية العربية، مفاده ألّا حذف إلا بدليل[5].

وقد تكلم ابن جني عن الحذف بإسهاب في باب شجاعة العربية. وذكر أنه إجراء يلجأ إليه المتكلم اقتصادا في اللغة، أو لأجل زيادة في المعنى على لفظه. ولا يصح الحذف أيّا كان إلا بدليل من المقال أو دليل من المقام.[6]

وحرص ابن هشام على توضيح ما يمثله السياق اللغوي، والمقام الذي يُلقى فيه الكلام من تدليل قويّ على تحديد العنصر المحذوف. هذا ما أكده وشرحه في المغني حين ذهب إلى أن دليل الحذف نوعان: أحدهما غير صناعي، وينقسم إلى حالي ومقالي: أما الدليل الحالي فنحو قولك لمن رفع سوطا:" زيدا"، بإضمار "اضرب". ومنه قول الله عزّ وجل:﴿ قَالُوا: سَلامًا﴾[7] أي

"سلمنا سلاما". والدليل المقالي كقولك"زيدا" لمن قال: من أضرب؟، ومنه قول الحق تبارك وتعالى: ﴿ وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرًا﴾ [8] وإنما يُحتاج إلى ذلك الدليل إذا كان المحذوف الجملة بأسرها كما تقدم، أو أحد ركنيها نحو قول الله عزّ وجل: ﴿قَالَ: سَلامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ ﴾ [9] أي سلام عليكم أنتم قوم منكرون، فحذف خبر الجملة الأولى ومبتدأ الثانية ...

والثاني صناعي وهذا يختص بمعرفته النحويون؛ لأنه إنما عرف من جهة الصناعة.[10]

وقدّم ابن هشام شواهد عن نوع الحذف الصناعي بقولهم في:"إنها لإبل أم شاء، إن التقدير أم هي شاء لأن "أَمْ" المنقطعة لا تَعْطِفُ إلا الجمل. وفي قوله:

إنَّ مَنْ لام في بني بنتِ حَسَّا نَ أَلُمْهُ وأَعْصِهِ في الخُطوب[11]

التقدير "إنّه" أي الشأن، لأن اسم الشرط لا يعمل فيه ما قبله..."[12] وذكر غير ذلك من المواضع التي يَفترض فيها النحاة محذوفا يقدرونه، من أجل أن يصحّ التركيب، ويستقيم المعنى، وتتم الفائدة، وتطرد القاعدة.

وقد أشار علماء البلاغة إلى أن الحذف قسمان[13] من حيث إسهامه في مزية توسيع المعنى وإطلاقه، أو لا. أما قسم الحذف الذي لا يسهم في إثراء المعنى وتكبير دائرته فهو الحذف الذي يجري في الكلام وقد تيسر تحديد المحذوف منه، وأمكن تعيينه من سياق الحال أو سياق المقال ومنه الأمثلة التي تقدمت.

وهناك قسم آخر من الحذف تظهر فيه دقائق البلاغة وأسرارها وروعتها؛ بفضل ما يؤدي إليه الحذف من التوسع في المعنى. وهذا يحتمل عدة تقديرات، قد يكون بعضها مرادا، وقد تكون كلها مرادة بقدر ما يحتمل السياق. وعلى سبيل المثال قوله تعالى: ﴿ وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقّاً فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقّاً ﴾.[14] قال تعالى على لسان أصحاب الجنة ﴿ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا ﴾ بأن جاء بالتخصيص لهم، ولم يقل : "ما وعدكم ربكم." مع أصحاب النار؛ وذلك لأن الكافرين لا ينكرون ما وعدهم ربهم بعذاب النار فقط، لكنهم ينكرون ما وعدهم وما وعد غيرهم وكل ما يتعلق بالساعة والبعث والحساب والقيامة، فهم ينكرون ما يتعلق بهم وبغيرهم وبعامة ما وعد الله به، لذا قال تعالى ﴿ مّا وَعَدَ رَبُّكُمْ ﴾ بحذف المفعول به، ولو قال:" ما وعدكم" لكان جزءاً من المعنى المُراد وليس كله. إذن الحذف هنا أدى إلى توسع في المعنى لأنه شمل ما وعدهم ووعد غيرهم والوعد العام بالبعث والحساب.[15]

وهذا النوع من الحذف هو الذي أثنى الجرجاني على بلاغته:" هو بابٌ دقيقُ المسلك، لطيفُ المأخذ، عجيبُ الأمر، شبيه بالسِّحر، فإنَّك ترى به ترك الذِكْر أفصحَ من الذكر،

والصمت عن الإفادة أزيدَ للإفادة، وتجدُك أنطقَ ما تكونُ إذا لم تنطِقْ، وأتمَّ ما تكون بياناً إذا لم تُبِنْ . وهذه جملةٌ قد تنكرُها حتى تَخْبُرَ، وتدفَعُها حتى تنظُرَ"[16]

الحذف في التركيب الشرطي:

تناولت المباحث النحوية مفهوم الشرط قديما وحديثا، وقدمت له تعريفات متعددة، يجمعها الأستاذ عباس حسن من خلال تعريف فعل الشرط، يقول:" سمي فعلَ شرط،لأن المتكلم يعتبر مدلوله ووقوع معناه شرطا لتحقيق مدلول الجواب ووقوع معناه، ولا يمكن عنده أن يتحقق معنى الجواب ويحصل إلا بعد تحقق معنى الشرط وحصوله؛ إذ لا يتحقق المشروط إلا بتحقق شرطه، سواء أكان سببا في وجود الجواب...أم غير سبب... ولهذا يقولون: إن الشرط ملزوم دائما والجواب لازم، سواء أكان الشرط سببا أم غير سبب."[17]

ومن الناحية التركيبية أو النحوية يتشكل هذا التركيب الشرطي من أداة الشرط، وهي تَعلّق الجواب بالشرط، والشرط ولا يكون إلا فعلا. وجواب الشرط لا يكون إلا فعلا أيضا، والرابط بينهما الجزم أو الفاء أو "إذا" الفجائية.[18]

يتعرض التركيب الشرطي لألوان من الحذف؛ لأن المتكلم يستوفي به التعبير عن مقاصد لا يتأتى له التعبير عنها بالذكر. وقد اهتم النحاة وعلماء البلاغة والمفسرون بهذه القضية كثيرا، وحاولوا تفسير أشكال الحذف، والوقوف على الدلالات والقيم الجمالية التي تترتب عليه.

ويحاول الباحث في هذا المقال حصر مستويات الحذف التي تقع في حيز التركيب الشرطي، ثم يعقب عليها مستفرغا جهوده من أجل التوصل إلى استجلاء مواطن القيم الدلالية التي تفضي إليها أنواع الحذف.

أولا- حذف الأداة:

لا تحذف أداة الجزم في المشهور، ورغم هذا فقد ذكر السيوطي أن بعضهم قد أجاز ذلك ولم يذكر مَن الذي أجازه. قال: " لَا يجوز حذف أَدَاة الشَّرْط وَلَو كَانَت "إِنْ" فِي الْأَصَح، كَمَا لَا يجوز حذف غَيرهَا من الجوازم وَلَا حذف حرف الْجَرّ، وَجوز بَعضهم حذف "إِنْ"، فيرتفع الْفِعْل وَتدْخل الْفَاء إشعارا بذلك. وَخرّج عَلَيْهِ قَوْله تَعَالَى: ﴿تَحْبِسُونَهُما مِنْ بَعْدِ الصَّلاةِ فَيُقْسِمانِ بِاللهِ﴾.[19] أي إنْ تحبسوا الشاهدين غير المسلمين بعد صلاتهما، يقسما بالله لا نشتري به ثمنا ولو كان ذا قربى، ولا نكتم شهادة الله. إنّا إذا لمن الآثمين.[20]

وكان مكّي بن أبي طالب القيسي[21] يرى في إعراب هذه الآية ما يتوافق معه تخريج السيوطي، حيث قال في مشكل إعرابها:"... فيقسمان بالله، الفاء تعطف جملة على جملة،

ويجوز أن يكون جواب شرط لأن؛ "تحبسونهما" معناه الأمر بذلك، فهو جواب الأمر الذي دلّ عليه الكلام، كأنه قال إذا حبستموهما أقسما..."،[22] ولم نجد في ما تيسر من تفاسير ما يساعد على اكتناه السر الجمالي الذي يكمن وراء حذف أداة الشرط. وربما كان هذا الأسلوب أقرب إلى الأمر وجوابه منه إلى التركيب الشرطي؛ لأن قوله ﴿ تَحْبِسُونَهُما ﴾ خبر في معنى الطلب مثل ﴿ يَتَرَبَّصْنَ ﴾ في قول الله تعالى: ﴿ وَالمُطَلَّقاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ ﴾.[23] وعليه يكون القول بحذف أداة الشرط في هذه الآية ضرب من التمحل المستبعد، الذي لا يثمر زيادة في الدلالة. وأنّ الفاء في ﴿ فَيُقْسِمانِ بالله﴾ للعطف.

قال الله تعالى: ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آَمَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَايَاكُمْ وَمَا هُمْ بِحَامِلِينَ مِنْ خَطَايَاهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴾[24]

جاء في تفسير محمد بن جرير الطبري (224-310هـ) لهذه الآية أن الذين كفروا بالله من قريش قالوا للذين آمنوا بالله منهم:"اتَّبِعُوا سَبِيلَنا"، أي كونوا على مثل ما نحن عليه من التكذيب بالبعث بعد الممات وجحود الثواب والعقاب على الأعمال،"وَلْنَحْمِلْ خَطاياكُمْ" أي فإنكم إن اتبعتم سبيلنا في ذلك، فبعثتم من بعد الممات، وجوزيتم على الأعمال، فإنا نتحمل آثام خطاياكم حينئذ.[25]

قال الفراء والزجاج: هو أمر في تأويل الشرط والجزاء، أي إن تتبعوا سبيلنا نحمل خطاياكم .

والمعنى الذي تدل عليه هذه الآية، هو ما ذهب إليه مفسرو القرآن الذين تقدم ذكرهم في تفسير هذه الآية. وصفة العبارة الدالة عليه في مستوى المنطوق، هي صفة الكلام في بنيته العميقة غير المنطوقة التي نؤولها هكذا: إن تتبعوا سبيلنا نحمل خطاياكم... ولكن الكلام جاء في الصورة المنطوقة له محذوف الأداة التي تربط بين الفعلين: "اتبعوا-ولنحمل" ربطا شرطيا، فتَحَوّل الشرط إلى فعل أمر يراد به إغراء المؤمنين والتغرير بهم، وتحول الجواب إلى فعل أمر، يُظهر الكافرين ضامنين بأنهم موفون بالعهد الذي قطعوه على أنفسهم أمام المؤمنين.

وربما كان اختيار هذا التعبير عن التركيب الشرطي القياسي هو أنّ هذا الأخير ليس موضوعا إلا لمعنى التعليق في المستقبل، وهو معنى يتردد بين التحقق وعدمه، أو هو أقرب إلى الندرة والاستبعاد، الشيء الذي لا يساعد الكافرين على مراوغة المؤمنين وإقناعهم بفكرتهم الضالة، خصوصا وهم يدركون أن المؤمنين على درجة عالية من اليقين والإيمان بالبعث بعد الموت، وبالثواب والعقاب على الأعمال في الآخرة. ولذا اختاروا أسلوبا محوّلا عن أسلوب الشرط والجزاء، يكون أكثر ثبوتا في تأدية معنى تبادل المنافع، وألصق بمنطق التجارة التي كانت

قريش تعرفها وتمارسها، فعبروا بفعل الأمر الذي يضطلع بإنجازه المؤمنون "اتبعوا سبيلنا"، كما عبروا بنفس الصيغة في إبدائهم للفعل الذي يردّون به دَيْنَ المؤمنين في زعمهم "ولنحمل خطاياكم". وفعل الأمر في مثل هذا السياق يعبّر عن موقف المتكلم وإرادته للفعل. وهكذا يكون تعليق الحمل بالإتباع لأجل المبالغة، والداعي لهم إلى المبالغة التشجيع على الإتباع. ولا يؤدي التعليق الشرطي المحض تلك المبالغة. ولفظ الجزاء"ولنحمل خطاياكم" وإنْ جاء على صيغة الأمر، فهو في معنى الخبر؛ لأنه عقّب عليه بالتكذيب المؤكد عند قوله تعالى:﴿ وَمَا هُمْ بِحَامِلِينَ مِنْ خَطَايَاهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴾[26].

وقال عزّ من قائل: ﴿ أَنِ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِي وَعَدُوٌّ لَهُ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي ﴾[27].

يقول تعالى ذكره: ولقد مننا عليك يا موسى مرّة أخرى حين أوحينا إلى أمّك، أن اقذفي ابنك موسى حين ولدتك في التابوت. يقول: فاقذفيه في اليم، يلقه اليم بالساحل.

جاء في تفسير محمد بن جرير الطبري أن قوله تعالى: ﴿ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ ﴾ جواب أُخرج مُخْرَجَ الأمر، كأن اليم هو المأمور. وفعلت ذلك أمه به فألقاه اليم وهو النيل، بالساحل حيث مَشْرَعَة آل فرعون وهي المكان الذي يصدرون عنه.[28]

وقال الفراء في : ﴿ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ ﴾ أمر وفيه معنى المجازاة، أي اقذفيه يلقه اليم، كأن البحر أُمر. وهو مثل قوله: ﴿اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ ﴾.[29] والظاهر أن البحر ألقاه بالساحل فالتقطه منه[30].

لقد اقتضت مشيئة الله أن تقذف أم موسى عليه السلام ابنها ـ وهو في التابوت ـ في اليمّ، فكان أن ألهمها أن تفعل ذلك، فجعل فعلها المكتسب"وهو قذف التابوت في اليم" مَعْبَرًا لفعل آخر يتلوه ويجاوره"وهو إلقاء اليم التابوتَ بالساحل".

ولو جرى هذا التعبير على طريقة الشرط والجواب كما هو مألوف، لقال في غير كلام الله:" فَإنْ تقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ يُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ". ولكانت دلالته على ترتب إلقاء البحر التابوت بالساحل على قذف أم موسى له في اليم، أقول لكانت دلالة إمكان، أي يتراوح بين الوجود والعدم، وليس فيه ما يُلْزِمُ وجود الفعل الأول ليوجد على إثره الفعل الثاني. ولكن الغرض من نظم العبارة القرآنية توجه إلى أن إظهار وجود الإرادة الإلهية متحكمة في المخلوقات؛ فأم موسى يلهمها الله كسب الفعل الذي يكون بمنزلة الشرط، والبحر يأمره الله كسب الفعل الذي يكون جزاء تاليا للأول. وليس لمخلوق من الاثنين أن يتخلف عن تحقيق الفعل الذي أسند إليه، من أجل أن يقضي الله أمرا كان مفعولا، وحدثا كان قد كتب في اللوح المحفوظ. ولا يؤدى هذا

الغرض إلا بالعدول عن التركيب النمطي لأسلوب المجازاة، وإيثار الصياغة التي جاءت عليها الآية. وأول ما ميزها حذف أداة الشرط. ومع ذلك ظلّ التركيب متضمنا لمعنى الشرط والجزاء، وذلك ما لاحظه الطبري والفراء.

ثانيا- حذف فعل الشرط:

قال عزّ من قائل:﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلامَ اللَّهِ ﴾[31].

"إنْ": من عوامل الفعل لا تدخل على غيره، فيكون " أَحَدٌ " فاعلا مرتفعا بفعل الشرط مضمراً يفسره الظاهر ، تقديره : وإن استجارك أحد استجارك.يقول برهان الدين الزركشي:"... إنّ الشيء إذا أضمر ثم فسر كان أفخم مما إذا لم يتقدم إضمار؛ ألا ترى أنك تجد[في الإضمار] اهتزازا؟" وأضاف في تعليل فخامة المضمر:"...إذ الفعل المفسَّر في تقدير المذكور مرتين"[32] ولعله يقصد أن في إضمار فعل الشرط ثم في ذكره مفاجأةً للمتلقي، وذلك حينما تهتز نفسه باحثة عن الفعل الذي كان يجب أن تدخل عليه أداة الشرط، فيحصل شيء من الاهتمام به والتطلع إليه، حتى إذا ذكر ما كان مضمرا، تمكّن معناه في النفس.

والشيء الذي تمحورت الآية حوله هو أهمية المشركين عند المسلم إذا ما طلبوا الإجارة ، فنبهت الآية بإلحاح إلى إمكان إجارتهم حتى لا تكون لهم حجة على محمد صلى الله عليه وسلم ولا على أتباعه.

ثالثا- حذف الأداة وفعل الشرط معا:

من المواضع التي يحذف فيها الأداة وفعل الشرط سياقات الأساليب الطلبية المتلوّة بحرف الجواب"إذاً ". فهذه الأساليب تدل على عدم تحقق الفعل؛ لعدم وقوعه في الماضي، أو لعدم وقوعه في زمن التكلم. والفعل الطلبي بهذه الصفة يستوي مع فعل الشرط من جهة عدم التحقق.

وفيما يلي تحليل لبعض هذه الأساليب، نسجل خلالها ما لاحظه المفسرون لآيات الله من حذف لكلام، تكون "إذا" وما بعدها جوابا له، ويقدر قبلها شرط وأداته، يستفادان من بيئة الكلام:

قال الله تعالى:﴿ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِثْلُهُمْ. ﴾[33]

قال ابن كثير الدمشقي في تفسيرها:" أي إذا ارتكبتم النهي بعد وصوله إليكم، ورضيتم بالجلوس معهم في المكان الذي يكفر فيه بآيات الله ويستهزأ وينتقص بها، وأقررتموهم على ذلك، فقد شاركتموهم في الذي هم فيه."[34]

وقال أبو السعود في﴿إِنَّكُمْ إِذًا مِثْلُهُمْ﴾:" جملة مستأنفة سيقت لتعليل النهي، غير داخلة تحت التنزيل...أي لا تقعدوا معهم فيذلك الوقت، إنكم إن فعلتموه كنتم مثلهم في الكفر واستتباع العذاب."[35]

ومن هذا القبيل في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿ مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذاً لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ ﴾.[36] قال الزمخشري: فإن قلت : إذاً لا تدخل إلاّ على كلام هو جزاء وجواب، فكيف وقع قوله "لذهب" جزاء وجواباً ولم يتقدمه شرط ولا سؤال سائل؟ قلت : الشرط محذوف تقديره: ولو كان معه آلهة. وإنما حذف لأنه دل عليه قوله: ﴿وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إله ﴾. وهو جواب لمن معه المحاجة من المشركين.[37]

حذفت الأداة وفعل الشرط لوجود الدليل عليهما في سياق الكلام، وهو قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إله﴾ المتضمن نفيا قاطعا لوجود الإله مع الله في ملكه، وهذا النفي يتساوى دلاليا مع دلالة الأداة "لو" الامتناعية، غير أنه يزيد عليه بالتوكيد الماثل في عبارة "من إله". ويتلاءم الجواب الواقع بعد "إذًا" مع الصورة النحوية لجواب"لو". وهكذا تتدعم دلالة النفي المجزوم به، بالمزيد من الإثبات والتقرير بواسطة الشرط الامتناعي.

قال الله تعالى: ﴿ أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ فَاللَّهُ هُوَ الْوَلِيُّ وَهُوَ يُحْيِي الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.[38]

معنى الاستفهام الإنكار. والفاء في قوله: ﴿ فالله هُوَ الوليّ ﴾ جواب شرط مقدّر، كأنه قيل بعد إنكار كل ولي سواه: إن أرادوا ولياً بحق، فالله هو الوليّ بالحق،لا وليّ سواه.[39]

إن العدول عن ذكر الأداة وفعل الشرط؛ لكونهما ملحوظين في سياق الإنكار على المشركين، أمكن من المزاوجة في عبارة واحدة بين غرضين: الأول، استنكار فعل المشركين في اتخاذهم أولياء من دون الله، دون أن يكون لهم برهان في ذلك. والثاني، هدي بقية البشر إلى ما هو حق يقضي به العقل السليم ويقود إليه، وهو أن الله وحده حقيق بأن يتخذ وليا؛ لأنه هو الذي يحيي الموتى وهو على كل شيء قدير.

تحملت الآية القرآنية موقفين مختلفين يقفهما الله من البشر: موقف ينكر فعلة المشركين الذين لا يفقهون آية ولا يدركون حقا. وموقف يهدي سائر الناس إلى الحق ويوجههم إلى التفكير في قدرة الله التي تقودهم إلى التسليم له بالولاية وحدة، ويحذرهم مغبة التمرد؛ إنه

هو الذي يحيي الموتى وهو القدير على كل شيء، وإن شحن اللفظ بأكثر من غرض، وجعله يصلح لمخاطبة مخاطبين مختلفين لهو من الإيجاز المشكور، الذي يستوجب غير القليل من النّباهة من أجل صيد المعاني الشاردة، وإدراك المقاصد المخفية من خلال ما يلمّح به السياق.

قال الله تبارك وتعالى: ﴿ فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى ﴾[40].

الفاء في قوله:"فلم تقتلوهم" واقعة في جواب شرط محذوف. وإذا نظرنا في سياق الحال الذي ارتبط نزول الآية به، أو في سياق المقال الذي سبق الآية، أمكننا تقدير الشرط المحذوف على أكثر من إمكان:

روي أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لما صدروا عن معركة بدر، ذكر كل واحد منهم ما فعل: قتلت كذا، أسرت كذا. فجاء من ذلك تفاخر بينهم ونحو ذلك. فنزلت الآية إعلاما بأن الله تعالى هو المميت والمقدر لجميع الأشياء، وأن العبد إنما يشارك بتكسبه وقصده[41].

وبالاعتماد على مناسبة النزول هذه، يكون تقدير الشرط المحذوف:"إنِ افتخرتم بقتلهم فلم تقتلوهم، ولكن الله قتلهم."

وقد يكون الشرط مقدرا، يستدعيه ما مرّ من ذكر إمداده تعالى وأمر بالتثبيت وغير ذلك[42]، كأنه قيل: إذا كان الأمر كذلك فلم تقتلوهم أنتم بقوتكم وقدرتكم، ولكن الله قَتَلَهُمْ بنصركم وتسليطكم عليهم وإلقاء الرعب في قلوبهم . ويجوز أن يكون التقدير:" إذا علمتم ذلك فلم تقتلوهم"، على معنى الإعلام والإخبار بالجزاء، أي: فأخبركم أنكم لم تقتلوهم.

وأيًّا مِنْ هذه التقديرات كان الأصحّ فجميعها مرادة، ولا أحد منها يتعارض مع الآخر. الشيء الذي يؤكد أهمية حذف الأداة والشرط، وأنه لو ذكر المحذوف ما كان لهذا الزخم الدلالي أن يظهر، أو يعبر عن غنى العقول وتنوعها في استقبالها وفهمها للخطاب القرآني.

قال عزّ وجل: ﴿ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ ﴾[43]

هذا أمر من الله لعباده المؤمنين بالهجرة من البلد الذي لا يقدرون فيه على إقامة الدين، إلى أرض الله الواسعة، حيث يمكن إقامة الدين، بأن يوحدوا الله ويعبدوه كما أمرهم[44].

والفاء في" فاعبدون" واقعة في جواب شرط محذوف، يفهم من خبر "إنّ أرضي واسعة"؛ لأن في هذا الخبر إشارة إلى اختيار الهجرة. وتقدير الكلام يصبح: فإن لم يتأت لكم أن تخلصوا العبادة لي في أرض فإياي في غيرها فاعبدون؛ لأن أرضي واسعة. والفاء في"فإيّاي" استئنافية. ولما

حذف الشرط عوّض من حذفه المفعول به المقدّم، مع إفادة تقديمه معنى الاختصاص والإخلاص[45].

وللرازي رأي آخر في تقدير وظيفة الفاءين في هذه الآية، قال: الفاء في قوله :" فإيّاي" تدل على أنه جواب لشرط من حيث أنّ قوله :" إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ " إشارة إلى عدم المانع من عبادته في أي مكان من الأرض الواسعة، وأما الفاء في قوله " فاعبدون " فهو لترتيب المقتضى على المقتضي، كما يقال هذا عالم فأكرموه.[46]

وقد تقاربت جميع كتب التفسير في إعطاء تقدير مماثل لما ذكر. وفي هذا ما يدل على أن النظم القرآني تتفتق أعطافه على المعاني كلما تأملنا عبارته، وكلما تعرفنا على مقامات نزوله، الشيء الذي يتأكد معه قيمة التعرف على مناسبات النزول، إنها عنصر غير لغوي يساعد على تعيين الدلالة المقصودة.

قال الله تعالى:﴿ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾[47].

أي: أيها الناس اعبدوني وأخلصوا لي العبادة دون من تعبدون من دوني من الأوثان والأصنام وغير ذلك ﴿ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾، أُجِبْ دعاءكم فأعفو عنكم وأرحمكم.[48]

الاستجابة مجزوم بها وهي واقعة لا محالة في الدنيا أو الآخرة، لأنها وعد من الله. ولم يقل : " أستجب لكم في الحال"، فإذا استجاب لنا ولو في الآخرة كان الوعد صدقاً. وجاءت الاستجابة فعلا مضارعا مجزوما لوقوعه في جواب الطلب، وجازمه الشرط الضمني المقدر "فإنْ تدعوني"مأخوذ من لفظ الطلب. وتقدير الكلام:"ادعوني، فإن تدعوني أستجب لكم."

واستعمال أسلوب الطلب وجوابه أو ما يسمى بالشرط الضمني، طريق من طرق الإيجاز، يضطلع بالتعبير عن الإغراء بإتيان الفعل"وهو الطلب بصوره"، وذكر الغرض المراد من إتيان ذلك الفعل وهو جواب الطلب.

وفي هذا الأسلوب تحديد للفعل المراد إتيانه وإقناع به، يدفعان بالمتلقي إلى الإقبال على الفعل المطلوب عن بيّنة وبصيرة. كما يشتمل على ذكر فضل الله وكرمه على خلقه؛ فهو المستجيب وهو الهادي إلى طريق الاستجابة. والشرط الضمني يتضمن اختيارا ممنوحا للمتلقي العاقل الحر، فهو بعد الهداية يتحمل مسؤولية اختياره.

قال الله تعالى:﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ . تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ

تَعْلَمُونَ . يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [49].

جيء بفعل " أدلكم " لإفادة أن ما يذكر بعده من الأشياء، هي مما لا يهتدى إليها بسهولة، والاستفهام لأجل التشويق إلى ما يأتي بعده أو يكون مفسرا له.

" تؤمنون " عند كل من المبرد والزجاج[50] في معنى "آمنوا"، ولذلك جاء " يغفر لكم " مجزوما على أنه جواب الأمر.

وفي قراءة عبد الله " آمنوا بالله ". وقال الفراء " يغفر لكم " جواب الاستفهام،[51] وهذا إنما يصح على الحمل على المعنى، وذلك أن يكون " تؤمنون بالله، وتجاهدون " عطف بيان على قوله: " هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم " كأن التجارة لم يُدْرَ ما هي، فبينت بالإيمان والجهاد، فهي هما في المعنى. كأنه قيل: "هل تتجرون بالإيمان والجهاد يغفر لكم..." [52]

وإن لم تقدر هذا التقدير لم تصح المسألة، لأن التقدير يصير "إنْ دللتكم يغفر لكم"، وإنما يغفر لهم إذا آمنوا وجاهدوا. وتقدير الكلام على الجملة هو: آمنوا وجاهدوا، فإن تؤمنوا وتجاهدوا، ﴿يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ...﴾ .

قال تعالى: ﴿ فاذْكُرُونِي أذْكُرْكُمْ ﴾ [53].

جاء في تفسير القرطبي(671 هـ) أن قوله تعالى: " فاذكروني أذكركم " أمر وجوابه، وفيه معنى المجازاة فلذلك جزم.

وأصل الذكر التنبه بالقلب للمذكور والتيقظ له. وسمي الذكر باللسان ذكرا لأنه دلالة على الذكر القلبي، غير أنه لما كثر إطلاق الذكر على القول اللساني صار هو السابق للفهم. ومعنى الآية: اذكروني بالطاعة أذكركم بالثواب والمغفرة.[54]

إن كلاّ من فعلي الأمر والجواب مشتق من الذكر، بينما تقضي أحكام التركيب الشرطي أن يغاير كل منهما الآخر، حتى لا يكون الشرط والجزاء الفعل نفسه؛ لعدم انعقاد أية دلالية من ترتيب فعل على نفسه. ولكن التفرقة بينهما هاهنا حصلت من جهة اختلاف المسند إليه، فكان جماعةَ المؤمنين، ثم كان اللهَ جل وعلا.كما تغاير الفعلان بتعلق كل منهما بجهة يختص بها ولا يشاكله الآخر فيها، وذلك نحو ما قدمه القرطبي في معنى الآية، حيث جعل كل ذكْرٍ بمعنى، وجميع كتب التفسير تفرق بين الفعلين من جهة الدلالة التي يقتضيها السياق؛ لأن الله ليس كمله شيء، ولا يجاريه مخلوق في أفعاله. ولنا أن ننظر ما قدمه أيضا محمد الطاهر بن عاشور في تقدير قوله "اذكروني" ، فالتقدير اذكروا عظمتي وصفاتي وثنائي وما ترتب عليها من الأمر

والنهي أو اذكروا نعمي ومحامدي ... وأما "أذكركم" فهو مجاز أي أعاملكم بزيادة النعم والنصر والعناية في الدنيا وبالثواب ورفع الدرجات في الآخرة.[55]

والمحذوف في هذه الآية أداة الشرط وفعله، وكان حذفهما جائزا لإمكان تقديرهما من سياق المقال أي: اذكروني فإن تذكروني أذكركم. وإضافة إلى الإيجاز المحقق فيها، فإنها عبرت عن موقف المتكلم الذي يريد أن يكون فعل الأمر منجزا، ليتبعه بالإجابة. كما أن في الآية وجها جماليا اكتسبته من التلون الدلالي لفعل الذكر، عندما استعمل استعمالين مختلفين ليناسب كل منهما ذات وصفة المسند إليه. ولهذا الإجراء سمة جمالية تسمى في علم البديع مشاكلة أو مجانسة.

ويضاف إلى ما سبق أن هذا الإجراء التركيبي يحيل الأذهان إلى فكرة أن الجزاء يكون من جنس العمل، ويذكّر بالعدل الإلهي، وفضل الله على العالمين. إنه تعالى اسمه هو القائل: ﴿ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴾[56].

رابعا- حذف جواب الشرط:

حذف الأجوبة: منه المتقدم على الأداة والشرط، وهذا لا يعتبر حذفا في منهج بحثنا[57] ولكنه من قبيل المقدم من تأخير، ولذا نقتصر في هذا البحث على نوعين من الحذف، وهما: ما لم يذكر لفظا وترك فهمه من السياق، وما كان حذفه للاستغناء عنه بجواب القسم أو جواب شرط آخر.

أ- حذف الجواب المفهوم من السياق:

قال عز وجل: ﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ﴾ [58].

معنى هذا المثل: أن الله سبحانه، شبَّه المنافقين في اشترائهم الضلالة بالهدى، وصيرورتهم بعد التبصرة(الإيمان) إلى العمى(الكفر)، بمن استوقد نارًا، فلما أضاءت ما حوله وانتفع بها وأبصر بها ما حوله، وتَأنَّس بها، وبينما هو كذلك إذْ طفئت ناره، وصار في ظلام شديد، لا يبصر ولا يهتدي، فلهذا لا يرجع إلى ما كان عليه قبل ذلك. فكذلك هؤلاء المنافقون في استبدالهم الضلالة عوضًا عن الهدى، واستحبابهم الغَيّ على الرّشَد. وفي هذا المثل دلالة على أنهم آمنوا ثم كفروا.[59]

قال الزمخشري في تفسير الآية: فإن قلت : أين جواب لـمّا؟ قلت : فيه وجهان : أحدهما أن جوابه ﴿ ذَهَبَ الله بِنُورِهِمْ﴾.وليس في هذا حذف.

والثاني : أنه محذوف تقديره:"خمدت". وإنما جاز حذفه لاستطالة الكلام من جهة، مع أمن الإلباس لوجود الدالّ عليه وهو﴿ذَهَبَ الله بِنُورِهِمْ ﴾ من جهة أخرى، وكان الحذف أولى من الإثبات لما فيه من الوجازة، مع الإعراب عن الصفة التي حصل عليها المستوقد بما هو أبلغ من اللفظ في أداء المعنى ، كأنه قيل : فلما أضاءت ما حوله خمدت فبقوا خابطين في ظلام ، متحيرين متحسرين على فوت الضوء ، خائبين بعد الكدح في إحياء النار. وعلى تقدير الجواب محذوفاً يكون: ذَهَبَ الله بِنُورِهِمْ كلاماً مستأنفاً . كأنهم لما شبهت حالهم بحال المستوقد الذي طفئت ناره، اعترض سائل فقال : ما بالهم قد أشبهت حالهم حال هذا المستوقد؟ فقيل له : ذهب الله بنورهم . أو يكون بدلاً من جملة التمثيل على سبيل البيان.[60]

وبعبارة أخرى يحقق الحذف الفوائد الدلالية والبلاغية التالية:

1. تحقيق إيجاز الكلام؛ لأن في الكلام طولا استوجبه وصف المنافقين المتظاهرين بالإيمان المضمرين للكفر والعائدين إليه، وعاقبة كل ذلك.
2. أن حذف الجواب يؤمن معه اللبس لوجود الدليل على المحذوف، وهو "ذهب الله بنورهم" وهذه الجملة بيان لما حذف.
3. أنّ الجملة البيانية أبلغ من جملة"خمدت" المحذوفة، من جهة أن مضمونها لازم لمضمون المحذوفة، وأكثر إيحاء بالحيرة والتخبط في الظلمات والحسرة على ما فاتهم من ضياء ونور، وفشل بعد محاولات استرجاع النور.

قال الله تعالى: ﴿ فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَأَجْمَعُوا أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غَيَابَةِ الْجُبِّ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾[61].

جواب "لمّا" محذوف إيذاناً بظهوره، وتقديره: جعلوه فيه، وبلاغة هذا الحذف ليست محصورة في هذا القدر من الإيجاز الذي يفوّت مشاهد وأحوال نفسية شديدة، ولكن تتجلى بالخصوص في الإشعار بأن تفصيل الجواب مما لا يحويه فلك العبارة، ومجمله: عظمت فتنتهم، أو فعلوا به ما فعلوا من أشياء شنيعة لا يجرؤ إخوة على إيقاعها بأخيهم.

وعلى رأي الكوفيين لا حذف، والجواب أوحينا ، والواو مقحمة زائدة، وليس في القرآن زائد إلا لزيادة في المعنى، الشيء الذي ينتقص من رأيهم.

قال عز من قائل:﴿ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ ﴾ [62]

أي لو يعلمون حقيقة قوة الله عزّ وجل وشدة عذابه، فـ " يرى " واقعة على "أن القوة لله"، وسدت مسد المفعولين.

وجواب " لو " محذوف، أي لتبينوا ضرر اتخاذهم الآلهة، أو لكان منهم ما لا يدخل تحت الوصف من الندم والحسرة ووقوع العلم بظلمهم وضلالهم، فحذف الجواب ليذهب السامع كل مذهب، فلا يتصور مكروها إلا وهو داخل في حالهم، ولو ذكر جواب لاقتصر عليه دون غيره.[63]

إن إضمار الجواب في الشدة والوعيد أكثر فاعلية في المعنى من الذكر، لأنه يفتح على الأذهان والنفوس سبل التقديرات التي يوحي بها مقام اليقين الذي يفاجئ الظالمين والمكذبين، يوم القيامة، وذلك طريق من طرق الثروة الدلالية التي يمنحها الحذف، وهو الحذف البلاغي الذي يمدحه علماء البيان.

ولو أن نظم التركيب الشرطي هاهنا جرى على الصورة المعيارية، لاقتضى ذكر الجواب، وفي الذكر قيد له، وحدّ لما تتوهمه النفوس من تفاصيل العذاب وأشكال الهوان التي يخضع لها الظَلَمَة، وتقليل من جملة دقائق النكال المحيط بهم.

وقال الله تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ الجبال أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الأرض أَوْ كُلِّمَ بِهِ الموتى بَل لِّلَّهِ الأمر جَمِيعًا ﴾[64].

روي أن أهل مكة قعدوا في فناء مكة، فأتاهم الرسول صلى الله عليه وسلم وعرض الإسلام عليهم، فقال له عبد الله بن أمية المخزومي: سيّر لنا جبال مكة حتى ينفسح المكان علينا، واجعل لنا فيها أنهاراً نزرع فيها، أو أَحْي لنا بعض أمواتنا لنسألهم أحق ما تقول أو باطل، فقد كان عيسى يحيى الموتى، أو سخر لنا الريح حتى نركبها ونسير في البلاد فقد كانت الريح مسخرة لسليمان، فلست بأهون على ربك من سليمان. وحذف جواب "لو" لكونه معلوماً، وتقديره: "لكان هذا هو القرآن الذي أنزلناه عليك".[65]

ومعنى كلمة "قرآنا" هنا تنصرف إلى معنى الكتاب السماوي. أي ولو أن كتابا مما أنزل الله سيرت به الجبال أو قطعت به الأرض أو كلم به الموتى، لكان هذا القرآن الذي أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم. وأضاف فَخْرُ الدين الرازي قول الزجاج، وهو أن المحذوف هو: "لما آمنوا به"،[66] كقوله: ﴿ وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ﴾ [67].

وقوله تعالى: ﴿ بَل لِّلَّهِ الأمر جَمِيعًا ﴾ "بل" عطفٌ على "ولو أن قرآنا" بحرف الإضراب يعني: ليست تلك العجائب من شأن الكتب، بل الأمر لله إن شاء فعل وإن شاء لم يفعل، وليس لأحد أن يتحكم عليه في أفعاله وأحكامه.

وقدّر الفراء أن يكون جواب "لو" من هذه الآية متقدّماً، وهو: "وهم يكفرون به ولو أنزلنا عليهم الذي سألوا." أو يكون متروكا لأن أمره معلوم: والعرب تحذف جواب الشيء إذا كان معلوماً إرادةَ الإيجاز.[68]

تعددت تقديرات المحذوف، وجميعها يتناسب مع السياق، وتلونت حسب فهم المتلقي للقرائن التي يتيحها هذا السياق. والاطلاع على بعضها ينكشف معه الاختلاف بين مدارك العقول في تدبر المعاني المضمرة واستنباطها ؛ فبعضها يرى الجواب مدلولا عليه بالنظر إلى ما قبل"لو"، وبعضها يراه فيما بعدها، وبعضها يراه في خارج سياق الآية، فيقدره مقيسا على آية أخرى من القرآن الكريم، فيتناسب عمله مع القول: إنّ القرآن يفسر بعضه ببعض. ولو أن الجواب ذكرته الآية لتحدّد، وتلاشت التقديرات الكثيرة ، وتلاشى معها الانثيال الدلالي.

قال الله تعالى: ﴿ إِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ ﴾ [69].

في جواب" إذا" الشرطية أوجه عدة، ويستحسن عرض بضع آيات تالية للأولى، حتى يظهر الموضع الذي يُظنّ أنه جواب لـ"إذا": ﴿ إِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ

كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا وَيَنْقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُورًا[70]﴾

ذهب الزمخشري إلى أن جواب إذا حذف ليذهب المقدِّرُ كل مذهب، أو اكتفاء بما صُرِّح في مثلها من سورتي التكوير والانفطار، وهو قوله تعالى: ﴿ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا أَحْضَرَتْ ﴾.[71] وقوله:﴿ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ﴾ الانفطار: 5.[72]

وورد في تفسير القرطبي مجموعة من أوجه التقدير فذكر:

- أن الجواب فاء مضمرة كأنه قال: " إذا السماء انشقت " فيا أيها الإنسان إنك كادح.[73]
- وأنه ما دل عليه " فملاقيه " أي إذا السماء انشقت لاقى الإنسان كدحه، وهو عمله من خير أو شر.
- وعنه أيضا- وعلى اعتبار أنها شرطية-: الجواب " فأما من أوتي كتابه بيمينه... "
- وأنّه " يا أيُّها الإنسانُ "، ولكن على إضمار القول، أي :" يقال: يا أيُّهَا الإنسَانُ".
- وقيل: الجواب محذوف لعلم المخاطبين به، أي إذا كانت هذه الأشياء، علم المكذبون بالبعث ضلالتهم وخسرانهم.
- وقيل: تقدم منهم سؤال عن وقت القيامة، فقيل لهم: إذا ظهرت أشراطها كانت القيامة، فرأيتم عاقبة تكذيبكم بها.

والقرآن كالآية الواحدة في دلالة البعض على البعض.[74]

تعددت أوجه تقدير الجواب الذي تتطلبه"إذا". وكان أغلب التقديرات يمتد قريبا أو بعيدا فيما يلي آية الشرط. ومهما كان الجواب المقدر فلم يخرج من فلك الدلالة على أن الإنسان – بعد قيام الساعة- لا ينال إلا جزاء عقيدته وعمله في الدنيا إن خيرا وإن شرا.

ولكن نباهة البعض من المفسرين كالفراء والزمخشري والقرطبي قد تتجاوز حدود السورة في تقدير جواب الشرط، لنجد الجواب في سورة أخرى أو في أكثر من سورة. وهذا الانفتاح فيما بين السور يؤكد فكرة أن القرآن يفسر بعضه بعضا، ويدعم بعضه بعضا دلاليا. كما يرسخ فكرة أنه كالنص الواحد المتناسق المنسجم، ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾.[75] كما أن هذه المعالجة الفذة التي مارسها علماؤنا في لمح المحذوف قريبا وبعيدا، في النص وفي خارجه، هي العمل بـ"النظرية السياقية" التي يرى فيها فيرث Firth أن المعنى لا ينكشف إلا في سياقات مختلفة سواء أكانت هذه

السياقات لغوية أم اجتماعية... وينقسم السياق عموما إلى نوعين: سياق لغوي يمكن تلمس خيوطه من خلال النسيج العام للنص، وسياق حالي يهتم بالظروف الملابسة للعملية النصية في ذاتها.

ومن أهم ما ينتج عن هذا الحذف هو ما يفعله من تحفيز على أن تذهب أوهام السامعين كل مذهب، سالكة كل السبل الدلالية التي يطمئن عندها الذهن لاعتقاده في صوابها وتلاؤمها مع معنى الشرط، وتكون لها جميعا صفة الصواب والتوافق مع التقديرات الأخرى. والفضل يعود إلى أسلوب النظم القرآني الذي يجعل من الحذف جسرا إلى التنوع والغنى الدلالي، مع الإيجاز في صوغ العبارة، وحسن الملاءمة بين ما يقتضيه المقام والمقال.

قال تعالى : ﴿ وَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ ﴾.[76]

هذه الآية مسبوقة بالملاعنة وذلك أن يقذف القاذف امرأته وليس له شاهد إلا نفسه، فيتلاعنان ويفرق القاضي بينهما.

يقول الطبري في تفسيره للآية إن الله تعالى ذكره يقول: ولولا فضل الله عليكم أيها الناس ورحمته بكم، وأنه عَوّاد على خلقه بلطفه وطَوْلِه، حكيم في تدبيره إياهم، وسياسته لهم، لعاجلكم بالعقوبة على معاصيكم، وفَضَحَ أهل الذنوب منكم بذنوبهم، ولكنه ستر عليكم ذنوبكم وترك فضيحتكم بها عاجلا رحمة منه بكم، وتفضلا عليكم... وترك الجواب في ذلك، اكتفاء بمعرفة السامع المراد منه.[77]

وبالإمكان تقدير المحذوف بقولنا :"لهلكتم، أو لم يبق لكم باقية ، أولم يصلح أمركم..."، ونحوه من الوعيد الموجع، الذي لا يشْكِل حذفه.

وقال الزجاج:" هاهنا جواب لولا متروك، والمعنى- والله أعلم- ولولا فضل الله عليكم لنال الكاذب عذاب عظيم، ويدل عليه [78]. ﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [79] .

إن حذف الجواب عبارة عن كفاءة لغوية يوظفها المتكلم في كلامه، وفي نفس الوقت يعول على نباهة السامع في امتلاكه نفس الكفاءة، مقدرا فيه الاستطاعة على إدراك المحذوف من ثنايا المقام. وقد يتموقع الدليل على المحذوف بعيدا بعد الموضع الذي هو محل الحذف، وهو حال الآية المدروسة.

ب - حذف الجواب استغناء عنه بجواب غيره:

قال تعالى:﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَمَثُوبَةٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ خَيْرٌ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُون﴾ .[80]

أي: ولو أن اليهود آمنوا وخافوا الله لأيقنوا أن ثواب الله خير لهم من السِّحر ومما اكتسبوه به، لو كانوا يعلمون ما يحصل بالإيمان والتقوى من الثواب والجزاء علما حقيقيا لآمنوا.

يقول السيوطي في الهمع: إذا وَقع جَواب"لو" فِي الظَّاهِر جملَة اسمية فهو جواب قسم مَحْذُوف مغن عَن جوابها وَلَيْسَ بجوابها.[81]

كما يقول صاحب المغني : إن لام الجواب في الآية لام جواب لقسم محذوف وليست لام جواب" لو "بدليل كون الجملة اسمية، والاسمية قليلة من جواب " لو ".[82] وجوابها مستغنى عنه بجواب القسم المقدر. ولتقدمه على الشرط، كان الجواب له. وأما جواب "لو"المحذوف فتقديره"لأثيبوا".

وتكمن فائدة هذا الحذف في توكيد معنى جزاء "لو"، مع الحرص على توفير إيجاز الكلام. وربما كان هذا التوكيد حافزا للمخاطبين على أن يكفوا عن السحر والتكسب به، وأن يرجوا الثواب من الله متوسلين بالإيمان والتقوى.

قال عزّ وجل: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ اللَّاتِي آتَيْتَ أُجُورَهُنَّ ...وَامْرَأَةً مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾.[83]

أحل الله لمحمد صلى الله عليه وسلم ولأمته الزواج من اللواتي ذكرتهن الآية ، وأما المرأة المؤمنة التي وهبت نفسها للنبي بغير صداق ولا شهود ولا مهر، فقد أحلت له خاصة من دون سائر المؤمنين، إن أراد أن ينكحها فحلال له أن ينكحها. وليس لامرأة أن تهب نفسها لرجل بغير أمر ولي ولا مهر، إلا للنبي. ويزعمون أنها نزلت في ميمونة بنت الحارث أنها التي وهبت نفسها للنبي صلى الله عليه وسلم.[84]

الشرط الأول ﴿ إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ ﴾ جوابه (إنا أحللناها لك)، والشرط الثاني ﴿ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا﴾ جوابه محذوف لدلالة جواب الأول عليه. قال الزمخشري:" فإن قلت : ما معنى الشرط الثاني مع الأوّل؟ قلت: هو تقييد له، شرط في الإحلال هبتها نفسها ، و شرط في الهبة : إرادة استنكاح رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كأنه قال : أحللناها لك إن وهبت لك نفسها وأنت تريد أن تستنكحها؛ لأنّ إرادته هي قبول الهبة وما به تتمّ".[85] ومن معنى العبارة أيضا –وهو مفهوم المخالفة- "وإن لم يقبلها رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يلزم- من مجرد هبتها نفسها له- ذلك الإحلال."

وبحذف جواب الشرط الثاني توفر إيجاز الكلام القائم على بتر الجملة المعلومة لدى السامع، وهي جملة في إمكانه تقديرها، شريطة أن يكون بالغا من النباهة والفطنة شأوا يؤهله لفهم الكلام ومعرفة خصائصه التركيبية،وبنيته العميقة.

قال الله تعالى:﴿ وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَّا تَبِعُواْ قِبْلَتَكَ ﴾.[86]

ولئن: اللام موطِّئة لقسم متقدم، أي والله لئن...، و" إن " شرطية، و" أتيت" فعل الشرط، و"ما تبعوا" جواب القسم، سد مسد جواب الشرط. ولو كانت جملة "مَا تَبِعُواْ قِبْلَتَكَ" هي جواب الشرط، لاقترنت بها الفاء لأنها مصدرة بـ"ما" نحو قوله الله تعالى: ﴿فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فما سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ﴾.[87]

والمعنى : ما يتبعون قبلتك على أيّ حال؛ لأن الشرط قيد في جملة الجواب. والشرط مستقبل، وفعله وإن كان ماضيا لفظا فهو مستقبل معنى. والآية خبر يصور أهل الكتاب فيما يكونون عليه من عناد إزاء دعوة محمد صلى الله عليه وسلم إلى يوم القيامة. وكان للحذف مزية الإيجاز الذي تحلت به العبارة مع ضمان امن الالتباس لما في جواب القسم من إغناء عن جواب الشرط.

حذف التركيب الشرطي بجميع عناصره:

يجوز قياسا حذف بعض مكونات الجملة أو كلها إذا وقعت جوابا بعد أحرف الجواب المعروفة، اكتفاء بورود المحذوف في جملة الاستفهام. وكذا في التركيب الشرطي يجوز حذف الجملة الجوابية في سياق الاستفهام، كما يجوز حذف الجملتين في سياق الجواب ، وذلك نحو قول الشاعر رؤبة بن العجاج[88]:

قالت سليمى ليت لي بعلا يَمُنْ يغسل عن رأسي ويُنْسِيني الحَزَن
قالت بنات العم يا سلمى وإن كان فقيرا معدما قالت وإن[89]

فموضع الحذف الأول هو في قوله "وإن كان فقيرا معدما"بحيث يقدر قبله استفهام بهمزة محذوفة. وقدحذف منها جواب الشرط لأنه سبق بما يدل عليه بغير لفظه، والتقدير: أوإن كان فقيرا معدما رضيت به؟ وأما في قوله في الجواب :"وإنْ..." فقد حُذف من بعد حرف الشرط جملتا الشرط والجواب معا.[90]

إذاً يجوز في نظم الكلام، أن يحذف كل من جملتي الشرط والجواب، إذا علما من بيئة الكلام السابق، كأن يأتيا في جواب استفهام واقعٍ على تركيب شرطي. ويدخل هذا الجواز في إطار قياسي مفاده أن المعلوم لدى المخاطب يجوز حذفه لكيلا يطول الكلام من غير زيادة في المعنى.

ومن هذا الحذف في النصوص القرآنية ما يلي:

قوله عزّ وجل: ﴿ وَجَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُواْ إِنَّ لَنَا لأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ * قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾.[91]

قرأ نافع، وابن كثير، وحفص، وأبو جعفر: "إنّ لنا لأجرا" ابتداء بحرف "إنّ" دون همزة استفهام، وقرأه الباقون بهمزة استفهام قبل"إنّ".

وعلى القراءتين فالمعنى على الاستفهام، كما يدل عليه ظاهر الجواب بـ"نعم". وهمزة الاستفهام محذوفة تخفيفا على القراءة الأولى، ويكون جواب فرعون بـ"نعم" تصديقا لمضمون جواب:"إذا"، وإعلام بعد الاستفهام.

وكما يجوز أن يكون المعنى على الاستفهام، يجوز أن يكون على الخبرية؛ لأن السحرة وثقوا بحصول الأجر لهم من فرعون، حتى صيروه في حيز المخبر به، ويكون جواب فرعون بـ"نعم" تقريرا لما أخبروا به.[92]

في هذه الآية، حذف التركيب الشرطي بأداته وجملتيه، من بعد حرف الجواب"نعم". ويؤدي حذفه فائدة أسلوبية جليلة هي من أهم ركائز البلاغة : الإيجاز. ولما عطف بقوله تعالى: ﴿ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾،كان العطف على محل الكلام المحذوف، وعلى تقدير ظهوره.

وقال عزّ من قائل: ﴿ أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَاباً وَعِظَاماً أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ أَوَآبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ قُلْ نَعَمْ وَأَنْتُمْ دَاخِرُونَ﴾.[93]

الاستفهام في قوله تعالى: ﴿ أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَاباً وَعِظَاماً أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ أَوَآبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ؟ ﴾ إنكاري.: وقوله: ﴿ قُلْ نَعَمْ﴾ جواب، على طريقة الأسلوب الحكيم، بصرف قصدهم من الاستفهام الإنكاري إلى ظاهر الاستفهام، فجعلوا كالسائلين الذين لا يحملون في طياتهم أي نوايا مسبقة غير الاستفسار، فكأنهم قالوا : أإذا متنا ....نُبعث ؟ فقيل لهم: نعم، تقريراً للبعث المستفهم عنه، وقوله:﴿ وَأَنْتُمْ دَاخِرونَ ﴾ جملة في موضع الحال، أي تبعثون بعث إهانة مؤذنة بترقب العقاب لا بعث كرامة.[94]

عدل النص الكريم عن تكرار عبارتي التركيب الشرطي في إجابة الاستفهام، أي حينما أجاب الكافرين بقوله "نعم". وفي هذا الحذف ما يشير إلى أمرين:

الأول: إلى بلاغة المتكلم - وهو الله تبارك وتعالى - العليم بما تنطوي عليه نفوس الكافرين من قدرة على لمح المحذوف، وثمرة ذلك أن يسلم الكلام من اللغو، وهو التكرار من غير حاجة إليه.

والآخر: إلى ما يكون عليه المخاطبون من فضل ذكاء يمكنهم من إدراك القصد من الإجابة بنعم عن استفهام إنكاري لا ظاهر. وإذا كانت الإجابة على طريقة أسلوب الحكيم فيها خروج عن مقتضى الظاهر؛ فكل أسلوب خرج عن مقتضى الظاهر هو مرتق في مدارج الكلام الأدبي الزاخر بمقومات الفن.[95]

الخاتمة:

التركيب الشرطي تركيب تلازمي يعبّر بأداة الشرط عن ارتباط بين أمرين، غالبا ما يكون ارتباط السببية.

وكثيرا ما يستعمل هذا التركيب وقد أسقطت منه بعض المكونات. وأهل العلم والنظر هم أعلم الناس بتقدير المحذوف، والتدليل على ما يتولد عنه من قيم أسلوبية جمالية، وكثافة دلالية، ما كانت لتتحقق لولا ذلك الحذف.

ويتلون تقدير المحذوف الواحد بتنوع المرجعيات السياقية المقامية والمقالية. فنرى المحذوف يقدرونه من سياق الحال المرتبط بنزول الآية، أو يلمحونه من سياق المقال الذي سبق الآية، او الذي تلاها. وقد يلحظونه في سورة أخرى من القرآن الكريم أمثال كالفراء الزمخشري والقرطبي.

وأيًّا مِنْ هذه التقديرات كان الأصحّ فجميعها مرادة، ولا أحد منها يتعارض مع الآخر. الشيء الذي يؤكد أهمية الحذف، وأنه لو ذكر المحذوف ما كان لهذا الزخم الدلالي أن يظهر، أو يعبر عن غنى العقول وتنوعها في استقبالها وفهمها وتأويلها للخطاب القرآني. ومن تقديرات الحذف تتأكد أيضا أهمية أسباب النزول بوصفها عنصرا غير لغوي يساهم في تحديد المعنى.

والمزية التي لا تدفع للحذف هي الإيجاز. وهو من أكبر وجوه البلاغة العربية. وأبلغ ما يكون في سياقات الشدة والوعيد؛ بحيث تتجلى بلاغته في الإشعار بأن تفصيل الجواب مما لا يحويه فلك العبارة، بما يسبب من إثارة للنفس، وثروة دلالية يزخر بها الكلام القليل. وهذا هو الحذف البلاغي الذي يمدحه عبد القاهر الجرجاني.

الهوامش والإحالات:

1 - يميل الباحث إلى استعمال "مصطلح التركيب الشرطي" أكثر من استعمال البديل له وهو "الجملة الشرطية"، وإن كانا بنفس المفهوم؛ لاختلاف النحاة بين اعتباره جملة أو لا، ولأن نحو هذا التركيب شديد الطول والتعقيد، ومركب من عناصر عدة.

2 - الجوهري (أبو نصر إسماعيل بن حماد)، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين - بيروت، الطبعة: الرابعة 1407 هـ- 1987، 4 / 1341.

3 -- ابن منظور الأنصاري الإفريقي (محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين)، لسان العرب، دار صادر، بيروت، الطبعة: الثالثة ، 1414 هـ، 9 / 40.

4 - الجاحظ (أبو عثمان عمرو بن بحر)، البيان والتبيين، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط.7، 1998، 96/1.

5 _ ينظر على سبيل المثال: شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار التراث القاهرة، الطبعة 20، 1980، الصفحات 243 ـ 246.

6 - ينظر: ابن جني (أبو الفتح عثمان)، الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، دار الهدى، بيروت لبنان، ط2، 360/2، 371، 371.

7 - الفرقان: 63.

8 - النحل: 30

9 - الذاريات: 25.

10- ابن هشام الأنصاري المصري، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تحقيق عبد اللطيف محمد الخطيب، التراث العربي، الكويت، 156/2، 157.

11 _ البيت منسوب للأعشى، هكذا في كتاب سيبويه 72/3، وفي الإنصاف في مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين لأبي البركات بن الأنباري، ص156.

12 _ ابن هشام، مغني اللبيب، المصدر السابق 157/2.

13 . السيد أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، المكتبة العصرية، بيروت لبنان، الطبعة الأولى، 1999، ص103.

14 - الأعراف:44

15 . الزمخشري (أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد جار الله)، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تحقيق: الشيخين عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، مكتبة العبيكان، الرياض، ط1، 1418هـ/1998م، 2/ 444.

16 . عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تحقيق محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط 5، 2004، 146.

17- عباس حسن، النحو الوافي، دار المعارف، القاهرة، الطبعة: الطبعة الخامسة عشرة، د.ت، 422/4.

18 - المرجع تفسه، 444/4 وما بعدها.
19 - المائدة:106.
20 - ينظر: السيوطي (عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين) ، همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، تحقيق: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، الطبعة الأولى، 1998، 2/ 563.

21 - مكي بن أبي طالب القيسي(355هـ - 437هـ)أصله من القيروان وسكن قرطبة، وكان من أهل التبحر في علوم القرآن والعربية، كثير التأليف، ومنها إعراب القرآن والموجز في القراءات والهداية في التفسير...الخ.
ينظر:جلال الدين السيوطي(عبد الرحمن بن أبي بكر)، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم، دار الفكر بيروت، ط2، 1979، 298/2.
22 - مكي القيسي، مشكل إعراب القرآن، تحقيق: محمد ياسين السواس، دار المأمون للتراث، دمشق، ط2، 251/1.
23 - البقرة:228.
24 - العنكبوت: 12.
25 - الطبري(محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالِب الآملي أبو جعفر)، جامع البيان في تأويل القرآن تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، الطبعة 1، 2000م، 14/20.
26 - العنكبوت: 12.
27 - طه:39.
28 - الطبري (محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر)، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلام، الطبعة:1، 2003 م، 302/18.
29 - العنكبوت: 12.
30 - الفراء، معاني القرآن،179/2.
31- التوبة: 6.
32 - الزركشي (بدر الدين محمد بن عبد الله)، البرهان في علوم القرآن، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة، بيروت، 1391هـ، 90/3.
33 - النساء: 140.
34 - ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 3/ 313.
35 - الشوكاني(محمد بن علي بن محمد) إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول المحقق : الشيخ أحمد عزو عناية، دار الكتاب العربي دمشق، الطبعة الأولى، 1999، 800/1.
36 - المؤمنون:91.
37- الزمخشري، الكشاف، 246/4 ، 247.
38 - الشورى:9.
39 - الزمخشري، الكشاف، 396/5.
40 الأنفال: 17.

41 - القرطبي، الجامع أحكام القرآن، تحقيق:عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، بيروت، 476/9.

42 - قال تعالى: ﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾ الأنفال:12.

43 الأنفال: 56.

44 - ابن كثير (أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي الدمشقي)، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: مصطفى السيد محمد وغيره، الفاروق الحديثة للطباعة والنشر القاهرة، الطبعة الأولى، 2000 ، 525/10.

45 - الزمخشري، الكشاف، 558/4.

46 - الرازي (فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين)، مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثالثة، 1420هـ، 70/25.

47 - غافر: 60.

48 . محمد بن جرير الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، 406/21.

49- الصف: 10 – 12.

50 - هو أبو إسحق إبراهيم بن السري بن سهل، المشهور بالزجاج؛ إذ كان يخرُطُ الزّجاج، لازم المبردَ وأخذ عنه، ثم صار معلما للنحو.توفي سنة إحدى عشرة وثلاثمائة من الهجرة(311هـ) عن سبعين عاما من العمر. وله من التصانيف: معاني القرآن، الاشتقاق،خَلْق الإنسان، فعلت وأفعلت، شرح أبيات سيبويه، القوافي، النوادر إلى غير ذلك.

ينظر: جلال الدين السيوطي، بغية الوعاة، 1/ 412-413.

51 - الفراء (أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي)، معاني القرآن، تحقيق محمد علي النجار وأحمد يوسف نجاتي، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الثالثة، 1403هـ/ 1983م، 86/1.

52 . القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، 446/20.

53 البقرة:152.

54 - القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، 459/2.

55 - محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، 1984، 455/1.

56 - العنكبوت: 45.

57 - وفي مذهب الجمهور الكوفي من النحاة أن الأصل في الجواب أن يتقدم على الشرط وأداته.

58 البقرة: 17.

59 - ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 296/1.

60 - الزمخشري، الكشاف، 192/1.

61 يوسف: 15.

62 - البقرة: 165.

63 - مصطفى عبد السلام أبو شادي، الحذف البلاغي في القرآن الكريم، مطبعة القرآن، القاهرة، د.ط، د.ت، ص113.

64 - الرعد: 31.
65 - الرازي، مفاتيح الغيب، 54/19.
66 - نفس المصدر، والجزء والصفحة.
67 - الأنعام : 111.
68 - الفراء، معاني القرآن، 62/2.
69 - الانشقاق: 1.
70- الانشقاق: 1-9.
71 - التكوير: 14.
72 - الزمخشري، الكشاف، 341/6.
73 - قد يكون السبب في اختيار أن يكون الجواب بادئا من قوله: " يا أيها الإنسان..." هو على اعتبار أن جواب"إذا" موقعه بعد قوله: "وأذنت لربها وحقت "الأولى. ثم طال العهد دون ذكر الجواب، فاقتضى هذا الطول أن يكرر قوله قوله: "وأذنت لربها وحقت " ليذكر بعده الجواب. وهذا التكرار هو مقتضى لطول العهد الذي نراه في عدة مواضع من القرآن الكريم من نحو قوله تعالى:﴿ وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾ البقرة:89. وفيه تكرار لأداة الشرط، ولفعله عن طريق الاختصار، ومن ثم الوصول السريع إلى جواب الشرط:"كفروا". ومن نحو تكرار النهي قوله تعالى:﴿ لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ آل عمران:188.
74 - القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، 160/22.
75 - النساء: 82.
76 - النور:10.
77 - محمد بن جرير الطبري ، جامع البيان في تأويل القرآن، 115/19.
78- الزجاج، معاني القرآن وإعرابه، 33/4.
79 -النور:14.
80 - البقرة:103.
81 - السيوطي، همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، 2/ 474.
82 - ابن هشام، مغني اللبيب،193/1.
83 الأحزاب: 50.
84 - محمد بن جرير الطبري ، جامع البيان في تأويل القرآن، 286/20.
85 - الزمخشري، الكشاف، 82/5.
86 - البقرة: 145.
87 - يونس: 72.
88 ـ رؤبة هو أبو الجحاف بن العجاج التميمي. هو وأبوه شاعران، ولكل منهما ديوان رجز، عارفان باللغة وحشيها وغريبها. قيل ليونس بن حبيب النحوي من أشعر الناس؟ فقال العجاج ورؤبة.

ينظر مثلا: كتاب خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، عبد القادر بن عمر البغدادي، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، 90/1، 91 .

89. ينظر: المصدر نفسه 9/ 15.

90. لم يذكر صاحب البيت حرف الجواب (نعم أو أجل) في جواب سليمى لبنات العم،وإنما سلك طريقة أخرى تدل على أنها تجيب بإثبات ما في سؤالهن، وذلك عن طريق ذكر أداة الشرط بوصفها دالا يشير إلى بقية ما بعده من الكلام، وهو كلام مؤلف من جملتين تعلق بينهما الأداة "إنْ" نفسها، ويفهم من سياق الاستفهام.

ولم يقف الباحث في القرآن الكريم على مثال لحذف جملة جواب الشرط بعد الاستفهام الداخل على جملة الشرط مما هو على غرار:"أو إن كان فقيرا معدما؟ " وقد قال ابن عصفور في كتاب الضرائر إن حذف الشرط والجزاء خاص بالشعر، بينما جاء في المغني في فصل الحذف أنه غير خاص به.

91 - الشعراء : 113 ـ 114.

92. ينظر: محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، 9/ 46.

93 - الصافات : 16 ـ 18.

94 ـ ينظر: المصدر نفسه، 23/ 99.

95 ـ لم يرصد الباحث باجتهاده المتواضع، غير هذين النموذجين لحذف التركيب الشرطي برمته بعد أحرف الجواب.